Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 12/ 2023 المجلد ٣١/ العدد ١٢/ ٢٠٢٣

# سيمياء العلامة في "الكتاب" لأدونيس

**رشا غضبان محسن**
*مديرية التربية/ بابل*
Rashaa.gh.2019@gmail.com

**تاريخ استلام البحث:** ٢٠٢٣/٧/٤ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٣/٨/٦ **تاريخ نشر البحث:** ٢٦/ ١٢/ ٢٠٢٣

## المستخلص:

يتناول هذا البحث موضوعا من الموضوعات السيميائية التي تبحث في المقاصد والغايات الدلالية من الخطاب الإبداعي، عبر تتبع سيمياء العلامة فيه. ويحدد البحث إطاره المنهجي بمنهج بارت السيميائي ويخصص موضوعه بالكتاب للشاعر السوري علي أحمد سعيد المعروف (أدونيس)

بذلك تحدد مشكلة البحث بمواطن العلامات الكثيرة ونظام ترتيبها في متتاليات في الكتاب لأدونيس

أما أهمية البحث فتكمن في تعدد الإيحاءات وكثرتها في الكتاب وانتظامها في متتاليات متنوعة، يحاول أدونيس عبرها زلزلة الثبات الذي أَلِفَه المثقف العربي وتحريك الطاقات الابداعية بداخله؛ كي يسعى نحو التجديد ويتجاوز الأسس القائم عليها واقعنا مُتطلعا نحو عالم المجهول المليء بالتنافر والغموض.

ومن هنا تشكّلت بنية البحث بتمهيد ومبحثين؛ تناول التمهيد مدخلا إلى سيمياء العلامة عبر منهج بارت السيميائي. وتلاه المبحث الأول الذي خصصته لدراسة العلامات في عناوين الكتاب بأجزائه الثلاث. وتناول المبحث الثاني المتتاليات الدلالية في الكتاب التي تعددت وتنوعت حسب نوع العلامات التي تنتظم بها

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها نتائج البحث، تلتها قائمة بمصادر البحث.

تأتي محاولتي هذه ضمن محاولات إنسانية تتسم بالنقص وعدم الكمال، إذ الكمال لله وحده، وما هذ المحاولة إلا صورة لتحريّ الحقيقية التي ينشدها البحث العلمي.

**الكلمات الدالة:** سيمياء، علامة، أدونيس، بارت

# The Semiotics of the Sign in “The Book” by Adonis

**Rasha Ghadban Mohsen**
*Directorate of Education/ Babylon*

## Abstract

This research deals with one of the semiotic topics that investigate the semantic purposes and objectives of the creative discourse, by tracing the semiotics of the sign in it. The research identifies its methodological framework with the semiotic approach of Barthes, and dedicates its topic to the book by the Syrian poet Ali Ahmed Saeed, the well-known (Adonis).Thus, the research problem is determined by the many signs and their arrangement system in sequences in the book by Adonis.

As for the importance of the research, it lies in the multiplicity of revelations, their abundance in the book, and their regularity in various sequences, through which La Adonis tries to shake the steadfastness of the Arab intellectual and stir the creative energies within him. In order to seek renewal and transcend the foundations upon which our reality is based, looking towards the unknown world full of dissonance and ambiguity.



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Hence, the structure of the research was formed with a preamble and two topics. The preamble dealt with an introduction to the semiotics of the sign through Barth's semiotic approach. It was followed by the first topic devoted to the study of signs in the titles of the book in its three parts. The second topic dealt with the semantic sequences in the book, which were numerous and varied according to the type of signs that are organized by them.

Then she concluded the research with a conclusion showing the results of the research, followed by a list of research sources.

This attempt of mine comes within the framework of human attempts that are characterized by imperfection and imperfection, as perfection belongs to God alone, and this attempt is only a picture of investigating the truth sought by scientific research.

**Keywords**: semiotics, sign, Adonis, Bart

## التمهيد: مدخل إلى سيمياء العلامة

إن تضافر الجهود التي قدمها يلمسليف، وبنفنيست، ومونان، وبارت، وكرستيفا، وغريماس لتشكّل تيارات سيميائية متمايزة، لم تتوقف عند حدودها العلمية، بل تجاوزتها إلى الوسائل المنهجية لتتحول من علم؛ موضوعه العلامة ومنهجه التحليل البنيوي إلى منهج قائم بذاته، ويظهر هذا التحول جليا في كتاب (نظام الموضة) لرولان بارت[١: ٢٢٦] الذي دمج جميع أنظمة العلامة في لغة من نوع ما، واعتبر السيمولوجيا جزءا من الألسنية على العكس من رأي سوسير[٢: ١٣٤]. ودلالة العلامة (**signe**) في اللغة هي:السومة، السيمة، السيمياء، السيماء[٣: ٢/٣،٢٨٣/ ١٢٢٩] و[٤: ١٢/٣١٢، ١٣/٧٦] وهي –كما يراها بارت– "لا تحصل من كونها دلالة إنتاج شخص معين، إنما من كونها تشارك في سلسلة أفقية دالة. وتتكاثر الدلالات السيميائية عندما تقطع سلسلة من الدوال، أو عندما تكون جزءا من كل مترابط"[٢: ١٣٤]؛ ولذلك عدّ السيميائيات مغامرة شخصية (بمعنى ما يأتيه من الدال) تلك المغامرة مرت بثلاث مراحل عند بارت آخرها توجه بها نحو النص مستهدفا لعبة النص وممارسة الكلمات مُسجلا انتقالا وعبورا من التحليل البنيوي للمحكي نحو التحليل النصي للمحكي مستندا إلى نظرية دلائلية تحكم العلاقة بكلا الطرفين وشق سبيلا آخر فرعيا داخل دلائلية الدلالة باعتماده مفهوم الإيحاء[٥: ١٥–٢٢].

والإيحاء "دالة يتألف.. من دليل(علامة) أو نظام دلالي أول، هو التقرير: إذا كان (ع) هو العبارة وكان (ض) هو المضمون و(ق) العلاقة بين الاثنين والمؤسسة للدليل– العلامة، فإن صيغة الإيحاء هي (ع ق ض) ق ض"[٥: ٣٩] يمكن تحديده عبر فضاءين: فضاء متواليات ذلك التسلسل النظامي الخاضع لتتالي الجمل، التي يتناسل المعنى طوالها بفعل الترقيد؛ وفضاء تكتلي تجمعي: الذي تتعالق فيه بعض معاني النص مع معان أخرى من خارجه مُشكلة أنواعا من السدائم والركائم المدلولية[٥: ٤١]. إن الإيحاء يضمن "تشتيتا محصورا للمعنى مذرورا كنُثارات الذهب على السطح الظاهر للنص(المعنى من ذهب)"[٥: ٤١] ويكون دلائليا(سيميائيا)، أو ديناميا، أو تاريخيا، أو بنيويا[٥: ٤١–٤٢]، وهذا يدل على إمكانية تعدد معنى النص وتفجيره[٦: ١٢٩].

للتوصل إلى الإيحاءات لابد أن ننظر إلى "النص على أنه شيء تعبيري (ممنوح لتعبيرنا الخاص) متسامٍ ومصعد في صورة اخلاق للحقيقة، أخلاق تسامحيه هنا وزهدية هناك"[٥: ٤٤] وليست القراءة لهذا النص فعلا طُفَيْليا، لأنها عملٌ على تقطيع النص إلى وحدات قرائية (عُجامات) جاهزة للتحليل الواحدة تلو الأخرى حتى نهاية



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

النص. والقارئ هو من يحدد حجم العجامة (كلمة، جملة، فقرة، قطعة،...) حسب كثافة الإيحاءات فيها، وإن أراد القارئ الحفاظ على يقظته تجاه تعددية نص ما، عليه أن يبدأ بتحليل تدريجي ينصبّ على نص واحد، ينظر إليه على أنه مدخل إلى شبكة من ألف مدخل، ويدرك أن القراءة عمل لغة، وبحث عن علامات نظامية للمعاني، وتخمين مستمر لا يَكلّ، وعمل كنائي[٥: ٤٤-٤٧]. كما يجب أن يكون قادرا" على تقصي أعراق المعنى وشُعيراته وعدم ترك أي موضع للدال دون استشعار للشفرة أو الشفرات"[٥: ٤٧] كي يتمكن بهذه الدقة من تجديد مداخل النص وتلافي بَنْيَنَته وتنجيمه عوضا عن تجميه[٥: ٤٨].

بعد تقطيع النص إلى عُجامات(دوال) لابد من تحليلها كي توصلنا إلى المدلولات، ولابد من التركيز على الضبط المنهجي لقائمة المدلولات (المتواليات) لأنها دليل تعددية النص، عبر العثور على اسم لها (ثقافية، نفسية، تأريخية،...)، والبحث عن الأحداث المؤلفة لها، وأي الثنيات تُغلق مروحة المتتالية[٥: ٥٠ و١٣٠] .

ويشير بارت بعد أن وضع منهجا لتحليل النصوص سيميائيا إلى ضرورة حرية القراءة وتعددها لأنها" تنقذ النص من التكرار...، تسحبه خارج تسلسله الزمني الجوّاني(هذا يقع قبل ذاك أو بعده)، وتعثر مجددا على زمن خرافيّ(بدون قبل ولا بعد)"[ ٥: ٥١]. للعثور على نص جديد متعدد، وأهمية دور القارئ في إعادة قراءة النص" هو الذي قاد بارت إلى الكف عن رؤيته بوصفه شخصا إلى رؤيته بوصفه وظيفة[٧: ٤٨]. "بهذا التصور يتحول النص إلى جهاز لغوي مفكر، في حين أن الإنسان يتولى مهمة التدبّر"[٦: ١٢٧].

مما تقدم يتضح لنا أن نظرية النص عند بارت تعني أن للسيميائية مبادئا وأسسا يجب أن نلتزمها، تبدأ بالدليل (العلامة)، ثم تعدد المعنى وتفجيره، فموت المؤلف، لتنتهي باللذة[٦: ١٢٩].

أما إجراءات التحليل – بحسب منهج بارت– فإنها تعتمد على تعددية النص أولا؛ وهذا ما نجده في نصوص (الكتاب) لأدونيس المتفجرة بالكثير من الإيحاءات والدلالات. وقدرة القارئ على التلاعب بالكلمات لاكتشاف النتوءات، والتعدد الدلالي، واللامحتملات، التي تمكنه من قلب العلاقة بين القراءة والكتابة ثانيا[٦: ١٢٦-١٢٩].

## المبحث الأول: الوحدات الدلالية(العُجامات) في (الكتاب)

عاش أدونيس (علي) بين العرب متمردا على تاريخ الواقع السياسي والاقتصادي الذي يسعى إلى تجميد حركية تأويل النصوص (الدينية، الإبداعية)، وتحويلها "إلى عادات شبه راسخة. شلّت حركية الفكر وأصبح النص (محميّة) دلالية تصون أصحاب هذه المصالح. وتريحهم من أعباء التغيير والتحولات"[٨: ٧١] .

لذلك سعى في كتاباته النقدية والشعرية إلى تغيير مفهوم الشعر من كونه اختيار فن إلى اختيار حياة[٨: ٩٣-٩٤].

فالشاعر المعاصر "يكتب ووراءه الماضي وأمامه المستقبل"[٩: ٤٥]إنه ضمن تراثه ومرتبط به ارتباط معرفة وحيوية وخلق، ارتباط خلق وإضافة واستباق.

وكان (الكتاب) تجسيدا شعريا لهذه الرؤية الأدونيسية ابتداء بصفحة العنوان إذ يطلق فيه اللغة، والوجود، والمعنى وهذه الصفات هي الصفات التي وصف القرآن نفسه بها[١٠: ٢٢] لذلك يبدأ العنوان بعلامة (التغيير


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المطلق) التي يهدف اليها (الكتاب) وهذه هي العجامة الأولى التي يسبقها بالاسم الذي اختاره لنفسه بديلا لاسمه الحقيقي (أدونيس) دلالة على هدم المفهومات القديمة[٩: ٤٦] والبحث عن هوية جديدة تجدد الحياة والفكر" تنظم علاقة الإنسان العربي بفكره وتاريخه، بموروثه الديني والثقافي، وبنائها على أسس سليمة، تضمن الارتقاء بواقع هذا الإنسان، عبر المكاشفة والقراءة الصحيحة والكاملة والمحايدة لكل ذلك الموروث، الذي بات معضلة بتناقضه، ونقصه، وانزواء أكثر مفاصله تأثيرا، وفاعلية بداعي قداسته وتحريم الخوض فيه"[١١: ٣١]، إن (أدونيس) الذي اختاره(علي أحمد سعيد) بديلا لاسمه الحقيقي لأنه ينطبق على النموذج الإنساني الذي يقصده في شعره[ ١٢: ٩٦] هو علامة نبوة الشاعر وقدرته على التحرر والخروج إلى الضوء كالنفس المتألهة التي تتلقى الأنوار من الغيب المطلق (الإشعاع)[ ١٣: ٣/١٦٦] و[١٤: ٣٣٦] لتكون (أمس المكان الآن) علامة لحجم (الكتاب) من حيث الأبعاد التي تبدو أكبر مما هي عليه في الأعمال النقدية والإبداعية، التي تحاكي مدلول مؤشرها التجنيسي[١١: ٢٣] إذ يعطي المكان بتوسطه بين الماضي والحاضر علامة تعانق الأزمنة، إنها علامة معرفة(ذوقية) تحفز الآخر كي يقرأ الماضي قراءة مُكاشفة ومُعاينة وليست نقلا، كي يعيش الحاضر ويختبره[١٥: ١١٦]، بذلك تعطي (أمس– الآن) "علامتين زمنيتين يتأرجح بينهما ثقل الكتاب، وثقل المكان الذي ينوء بعصريه (أمس– الآن)"[١١: ٤١] تأكيدا على أن الشعر من أقل أنواع الفنون حاجة إلى الارتباط بالزمان[٩: ١٠]، ثم يُكمل هذا الثقل عندما جعل (الكتاب)(مخطوطة تُنسب إلى المتنبي) لتكون (مخطوطة) علامة أمكانية إحياء التراث بأسلوب المتلقي الخاص عبر " الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة إلى الكشف"[٩: ٩] فهي مخطوطة (تُنسب إلى المتنبي) علامة مغايرتها لمعنى المخطوطة المألوف، إنها مخطوطة تشير إلى أن المتنبي من الشعراء " الخلّاقين الذين نذروا أبجديتهم لارتجال الفضاء المستحيل"[١٠: ٨٧] من أجل تفكيك البنية الجمالية القديمة، وتجاوزها، وتقديم بنية جديدة"[٩: ١٢٧]، وهنا تتضح "مناطق الاشتباك التي يقيمها أدونيس بين الشاعر والنبي. ليس بالمعنى الديني والإيماني الصرف، بل بالمعنى الذي يجعل من الشعر فعل استباق وملعب حدوس، ومن الشاعر نفسه كائنا منوطا بتأويل العالم وإعادة صياغته."[ ١٦:ج٣] إنها مخطوطة (تُنسب) وفي هذا البناء للمجهول تفجير لسيل من العلامات تتدفق على الكتاب بالكامل منها: نكران الذات و الآخر اعترافا بموت المؤلف لتحرير معرفة القارئ من قيوده أولا، وتأكيدا على تعددية النص وإمكان إعادة كتابته بأساليب إبداعية مختلفة ثانيا، وعلامة تشكيك أراد منها أنه ليس الوحيد القادر على كتابة هذه المخطوطة وليس المتنبي – رغم إطلاقه شعرا يضيء شعلة الإبداع – الوحيد القادر على كتابتها أيضا؛ إنه تشكيك يزلزل الثبات في قراءة النص ويدعو القارئ إلى البحث عن (ولادة نصوص للحياة) فيما يقرأه أو يؤوله ثالثا. إنه علامة إثارةٍ للذة القارئ وهو يبحث في نصٍ مجهولٍ تقوده إلى الإبداع الحقيقي لتُحرره من فراغٍ ناتجٍ عن استحالة الكتابة وتدعوه إلى خلق فراغ آخر يستعيد ذلك الصمت الهائل الذي تركته كلمات الشعراء الخلّاقين، وتوليد الشعور بهذا الفراغ الذي يحرر اللغة من سجنها لأنها مكان حي، حر، لا نهائي[١٠: ٨٦–٨٧]. إنه علامة بحث أدونيس عن قارئ حقيقي واعٍ لنصوص التأريخ في كتابه.


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وترى الدكتورة وداد هاتف أن علامتي (تُنسب)و(يحققها وينشرها)" إنما جاءتا لتأكيد قلق الواقع ولا يقينيته. كما هو قلق الماضي الذي يبذل أدونيس جهده الفكري والابداعي، لزعزعة الثقة بمسلماته التي وصلتنا امرا مفروغا منه، مسيجا بالمحاذير من المس والحفر والتأويل"[١: ٢٥].

ف(الكتاب) علامة تأسيس أفق كشفي – معرفي تؤسس له الكتابة الشعرية داخل التاريخ العربي من جهة، وخارجه من جهة أخرى في التأريخ الإنساني المعاصر[١٠: ١٠١]. إن اختياره للمتنبي علامة على وجود شاعر حقيقي يتوجه بشعره إلى الوعي لا إلى الجمهور[٨: ١٠٧] علامة(فرادة المتنبي، والتماهي بينه وبين أدونيس)[١١: ٣٥]ويعلل سبب اختياره للمتنبي بقوله" إننا نحن الخلف، لكي نزداد معرفة و فهما، لا نسافر– بل بالأحرى نرتحل ونهاجر..، ننطلق من وضعية المغلوب الذي يتلمس النهوض لكي يخرج من حالته هذه"[٨: ١٥٧]ويؤكد ذلك في قوله:

"لا أحيا

في هذا التأريخ، ولا أتشرد منه

إلا كي أخرج منه"[١٧: ١/ ٧٤]

إنه يطرح لغز يُثير التساؤل، لماذا يحيا في تأريخ يريد الخروج منه؟ ليأتي الجواب في(يحققها وينشرها أدونيس) علامة إرادة الاتساع لديه على الموجودات الأخرى مُنفتحا عليها غايته مواكبتها والتآلف معها لكي يكون ندا لها[٨: ١٥٧–١٥٨]. باحثا عن علامات ولادة الشاعر الحقيقي وصفاته فيما يقتبسه من شعر المتنبي مرة، ويومياته مرة أخرى، بينهما تتفجر أوراق ألحقت بالمخطوطة، ومدن أبجدية، ودفاتر، وتوقيعات، وهوامش؛ بعلامات متعددة تعكس قراءة أدونيس المتفردة للتأريخ، المسكونة بهاجس تمجيد الإبداع العربي والمبدعين العرب، الرافعة لرايات التحول والإبداع احتفاءً بجميع الخلاقين العرب؛ عبر تعرية النظام والثورة على جميع أشكال القمع والعنف التي تمارسها ضدهم[٨: ١٧٢].

إنها دعوة إلى قراءة الكتاب بوصفه كلا، أو بوصفه تنويعا[٨: ١٧٢]، ولذلك اقتبس من شعر المتنبي أبيات لتكون تأسيسا لرؤية شعرية أحياها المتنبي وأعاد صياغتها أدونيس

ولو دققنا النظر في الكلمات الشعرية التي اختارها أدونيس من شعر المتنبي ومنها:

" ومنزل ليس لنا بمنزل، لاتلق دهرك إلا غير مُكترث، إن النفيس غريبٌ حيثما كانا، كأني عجيب في بلاد العجائب، يضمه المسك ضم المستهام به، إذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت أن الموت نزع من القتل"[١٧: ١/٧و٤٩و١٣٧و٢٦٩و٣٧٥]

لوجدنا أن كل كلمة من هذه الكلمات (لغم) ينسف المحتوى الثقافي القديم المتمثل بزيف ما يرويه الراوي، ويمهد لمحتوى جديد، قوي فيما يتضمنه من الممكن، وما يزخر به مما لم يُقل بعد[٩: ٩٥ و١٠٢ و١١٦]، يحيد به الشاعر عن الطرائق القديمة من أجل الكشف عن الحياة المعاصرة بلغة شعرية زاخرة بالإيحاءات، تتخطى الثبات والتقليد، صالحة لكل زمان ومكان[٨: ١٩ و٣٩–٤٢]؛ فكل كلمة شعرية أوحت لأدونيس بقصائد متسلسلة بتسلسل


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حروف الأبجدية، وروايات تاريخية ممتدة لعشرات السنين، فضلا عن هوامش ذكر فيها العشرات من المبدعين العرب إنها:

"كلماتٌ –
شهوةٌ تتقلب في جمرها
كلماتٌ –
غابة خبأتهُ
بين أغصانها
لا نبيّ و لا ساحر – نارُ شعرٍ
في المكان ومن لا مكان
تتأجج في تيه هذا الزمان"[١٧: ١/٣٨٠]

نجد هنا لغز في قوله (غابة خبأته بين أغصانها)، إنه يتحدث عن الرواة والزيف في رواياتهم الذي يظهر ما يخدم السلطة فقط؛ ويؤكد ذلك الزيف عبر ما كتبه من قصائد في (الفوات) تذكر روايات أخرى هي علامة على إرادة التضليل لدى الراوي إذ لا يشير إلّا إلى علامات جهل المجتمع المتمثلة بالعادات والتقاليد الثابتة والقتل الذي ينال كل من يخرج عنها أو يتمرد. ثم يختم الجزء الأول بالتوقيعات والتوقيع علامة للرمز الذي يعكس شخصية صاحبه وأدونيس هنا يترك توقيعا ترمز إليه كلمات القصائد: الأول مفرد يشير إلى رأيه بالراوي، والثاني صوت بتوقيع ثلاثي علامة على ضعف الراوي أمام الحقائق التي أراد أن يخفيها، والأخير بأصوات متعددة يرمز بها إلى كل الخلاقين والمبدعين الذين لن يبعدهم شيء عن تعرية الواقع وإظهار زيفه وكشف الحقائق.

وكأنّ الجزء الأول من (الكتاب) بأكمله لغزٌ يتيه فيه القارئ في زيف الروايات التي تخدم السلطة؛ لتَظهر الحقيقة في التوقيعات الثلاث في نهايته، ثم يكون حل اللغز واضحا في الجزء الثاني بقسميه الذي تختفي فيه عبارات (قال الراوي، وثنى الراوي، حدّث الراوي، أخبر الراوي،...) وفي هذا تجاهل كامل للراوي تحل محله الحروف الأبجدية علامة على عودة الحقيقة إلى أصلها متمثلة بالمبدعين والشعراء مُستعينا بقول المتنبي:

خُذ ما تراه، ودع شيئاً سمعتَ به، في طلعة الشّمسِ ما يُغنيكَ عن زحلِ

متّخذا من الشاعر مصدرا للحقيقة في قوله:

حسنا
أتنور في سفري نحو نفسي،
ونحو المدائن والناس
شعري، وأنتبذ الراويهْ.
لا دليلٌ سوى الشّعر–
يبتكر الهاوية
ويُصادق معراجها الكريم.


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فليجيءْ نحويَ الفضاءْ
ليجيءْ مثل طفل،
نقياً وحراَ
لأخطَّ عليه
ماروته النجوم لعينيَّ هذا
المساء[١٧: ٢/ القسم الأول:١٣ ].

وفي ذلك محاولة لإخراج المثقف العربي من مركز الجاذبية نحو القديم واعتماده التقليد إلى فضاء التجديد الذي يتجاوز الأسس القائم عليها واقعنا مُتطلعا نحو عالم مجهول مليء بالتنافر والغموض[٩: ١٨-٢٢] رافعا رايات التحول والإبداع[٨: ١٧١-١٧٢] يحملها(أبجد) مُسافرا بين المدن يروي سيرتها مطرزة بتأملاته وانطباعاته الخاصة عنها، ثم يدون علي بن دينار الرواية بصيغة الضمير الغائب، والمذكرات بصيغة المتكلم(أنا)، وفي الكتاب تنشر الرواية والمذكرات لأول مرة مع ما زاده عليها أدونيس من أشياء جدت في العصر الحاضر، وأشياء أخرى رآها[١٧: ٢/ القسم الأول: ٥٣] لكنها تنشر بشكلٍ جديد يظهر فيها متن الرواية بدون إطار مع الحاشية اليسرى لتخريج الأعلام وسنوات الأحداث وإيضاح المفردات الغير المفهومة فقط. أما الذكرى فكل ما فيها المدن من دون حواشٍ ولا إطار.

كل جديد في الجزء الثاني يدعونا للتساؤل: لماذا اختار اسم (أبجد) حاملا لراية التحول والإبداع؟ لماذا نجد الأبجدية بلفظها وحروفها المرتبة منثورة كالدرر في كل صفحات الكتاب؟ ولماذا دُوّنت الرواية بضمير الغائب، والذكرى بضمير المتكلم أنا؟ ولماذا هذا الشكل الجديد لكل واحدة منهما؟

كل شيء في الجزء الثاني لغز نحتاج إلى قراءة آراء أدونيس النقدية المبثوثة في كتبه كي نفهمه، فنحن نعلم أن المؤلف للكتاب هو أدونيس ولاوجود لشخصية أبجد إلّا في خياله لكنه أخرجها بإبداعه من خياله لتكون في الكتاب علامة للشاعر المبدع الحقيقي، والشاعر هو الشخص الذي تتوفر فيه المعايير الأولية المتمثلة برؤيته خاصة للعالم التي تؤسس لعلاقاتٍ خاصة به، بين لغته والأشياء، وتؤسس للغة شعرية خاصة[٨: ٣٦-٣٧]، أما سبب تسميته(أبجد) فإنه علامة على حياة الناطق بالأبجدية وتحرره ومعرفته بتفاصيلها إنه (سيميائي لقيط النجوم) وهذه تسمية تتفجر بعلامات الحياة والتجدد التي يختارها أبجد للغته؛ لأن" اللغة وحدها هي المكان الحيّ، الحرّ، اللانهائي"[١٠: ٨٧]؛ ولذلك يستثني سكان المدينة واو من النطق بها لأنّ شرط الحياة فيها:

هو أن تشيّع دائماً جنازة
الحياة.
[...]
الكلمات في المدينة واو ليست أبجدية، إنها نوع آخر
من الحيوانات الداجنة[١٧: ٢/ القسم الأول: ١٦٦].


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وسبب وجود الأبجدية في كل صفحات الكتاب هو علامة خصوصيتها وتميزها عن باقي اللغات وجمالها "إنها مجرد رؤى، وصور، وعلاقات، يبدو الواقع فيها كأنه أثير ذائب في اللغة. ولا تعود الأشياء موجودة بماديتها الصماء المباشرة. وإنما تصبح إشارات وعلامات، وآثارا غير مادية."[٨: ٣٩]ويتضح اعتزاز أدونيس بالأبجدية في كثير من نصوص الكتاب، من أجملها قوله واصفا العلاقة بينها وبين الشاعر:

غنّى لها

لهوائها ولمائها ولأرضها

غنّى لكل حروفها:

صوتي ذراع

وهواي خاصرةُ الكلامْ.

لمَ لا تكونُ الأبجديةُ حُبَّهُ

وسريرَهُ،

ويكونُ حارسَهُ الهيامْ؟[١٧: ٢/القسم الأول: ٣٣]

وربما يكون تدوين الرواية بصيغة ضمير الغائب علامة غياب الحياة في رواية التأريخ ويتضح ذلك في قول أدونيس في حاشية يُعرف فيها التأريخ في احدى الروايات:

التأريخ جسدٌ خرابٌ،–

كيف يدخل فيه وروحه أكثر

خراباً؟ لكن كيف يهرب منه،

هو الذي يتقلب بين يديه؟[١٧: ٢/ القسم الأول: ١٣٥]

وتدوين المذكرات بصيغة المتكلم (أنا) علامة الشاهد المتمرد الذي لا يملك سوى جمع تأملاته في دفتر الذكرى وهذا الشاهد هو أبجد وهو رمزٌ لكل ثائر يرفض الخضوع لسياسة المدن الأبجدية لأنها مدن" كابوسية، وكأنها جميعها مُدن الجحيم بلا استثناء، هي مدنٌ موبوءةٌ بلا بارقة أمل"[١٨: ٤٧٧ ]ولذلك هي مُدن بعيدة عن الشاعر:

العزيزُ المشرَّدُ يشكو لأوراقه:

" كاد أن يرجع الضوء مثلي، حزينا،

لمجرّاته الأمينهْ.

ما أمرّ المسافات بيني وبين المدينة،

ما أبعد المدينَهْ"[١٧: ٢/ القسم الأول: ٢٩].

بذلك يكون الشكل الجديد (للرواية وللذكرى) علامة (الغائبة الداخلية)[ ٩: ١٥]للقصيدة بشكل رواية للأولى، وبشكل تأملات للثانية، "فشكل القصيدة هو القصيدة كلها: لغة غير منفصلة عما تقوله، ومضمون ليس منفصلا عن الكلمات التي تفصح عنه[...].هكذا يبدوا أن القصيدة الجديدة قصيدة/حركة[...]، لا نهائية الخلق الشعري."[٩: ١٥]



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويكمل أبجد تأملاته في القسم الثاني "بشكل غير مباشر، عبر مقاطع من رسالة كتبها في شكل خواطر، شاعر إلى صديقة له في هذه المدينة"[1] حاملا حيرته في قوله:

حَيرتي عبث الدَّهر:

من يأسر الأرضَ يحيا أسيراً على الأرضِ،

والمستبيحُ هنا أو غداً

سيكون هنا أو غدا مُستباحْ.[١٧: ٢/ القسم الثاني: ٥٢٦].

مُشيرا إلى المتنبي:

أحمد–

لم يكن مادحاً

كان يهجو عمى الآخرينَ،

ويقرأ أحوالَه وأعمالَهُ

في شمائلِ ممدوحه.

كان يرنو إليَّ كأنّي صِنْوٌ

ونِدٌّ لَهُ،

ويُضيء نبوءاته و هياماته

في التحدّثِ عَنّي[١٧: ٢/ القسم الثاني: ٥٣٣].

وبهذا يثيرُ لغزا مغزاه أن المتنبي كان يبحث عن شاعر مبدع يكون ندا له وهو هنا ليس أدونيس ولا أبجد فقط، بل كل شاعر يعطي للشعر حقه في الخلق والإبداع كما فعل هو.

لتكون نهاية الأوراق بدايةً للدفاتر الأربع التي زادها أدونيس في آخر هذا الجزء: أولها دفتر أيقونات كلمة يونانية مفردها أيقونة تعني الصورة، أو الشبه، أو المثال، صُنعت وفق أساليب محددة خدمة لأغراض دينية بقصد التبرك، الغاية منها الارتقاء بحياة الناظر إليها من الأمور الأرضية إلى الأمور الروحية[ ١٩: ١/ ١٤٤] جعلها الشاعر علامة لإرادته في نقل المتلقي من عالم التقليد والثبات إلى عالم التجديد والحركة الذي يسيطر على خيال الشاعر:

أتخيّل أيقونةً

لا كنائس فيها،لا مساجدَ، لا هيكلٌ.

أتخيّل أيقونةً: شُرُفات

ضوءُها دهرُها

وعلى رأسِها

قمرٌ عاشِقٌ، وبين يديها

1) هذا هو الهامش الأيمن الوحيد في أوراق سيف الدولة. الكتاب (أمس المكان الآن).



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

شمسُ حريّةٍ وانخطاف.

أتخيّل أيقونةً

لها الشّعر بدءُ المطاف،

وخاتمةٌ للطوافْ[١٧: ٢/ القسم الثاني: ٦١٠].

وفي دفتر لملائكة الحبر يطوف أدونيس حول مجموعة من الشعراء والنحويين واللغويين الذين داروا في فلك المتنبي مريدين أو أعداء ليكون ما مروا به علامة لمحاكمته الشعرية للسلطة السياسية العربية السائدة[١٨: ٤٧٧].

أما في دفتر لليل الأشياء ففي كلمة ليل علامة الظلام الذي تختفي الأشياء فيه ويعني قصائد المتنبي التي لم تصل إلينا وهي قصائد حبّه لخولة ...

وأخيرا يكتب دفتراً لليل الأشياء علامة الظلام السائد فيها لتكون آخر الأشياء التي يكتب عنها في هذا الدفتر هي المدن الأبجدية قائلا:

مدنٌ لا تزال كما أنشئت، ضحيهْ

تتغنى بجلادها

وتصقل أسيافَهُ

وتؤرّخ: تابَعَ أسلافهُ

وتشبّه بالسيرة النبويّهْ.

مدنٌ لا تزال كما أنشئت، خراباً:

بشرٌ يسكبون الوطنْ

في قِصاعٍ، يصفّون أجنادَهم حولَها–

طابخٌ ينتشي،

آكِلٌ يُفتَتَنْ[١٧: ٢/القسم الثاني: ٧٠١].

من هذه المدن الكابوسية التي لم تتغيّر ينقلنا أدونيس إلى الجزء الثالث ويُظهر فيه اختلافا عن الجزأين السابقين في التبويب والتفريع والمحتوى، إذ يبدأ فصوله السبع بست فاصلات استباق وفاصلة سابعة للاسترجاع وهنا تظهر مصطلحات التحولات الزمنية[٢٠: ٦٠–٧٦] صريحة في القصائد لتجعل من الزمن المتموج مدّاً وجزراً علامة للحياة " فأن تكون شاعراً معناه مضاعفة الجدلية الزمنية، معناه رفض التواصل السهل للإحساس والاستنتاج؛ معناه رفض الراحة الانهداميّة لتقبّل الراحة المتموّجة، الحياة النفسيّة المتموجة"[٢١: ١٤٨]وقد استخدم لغةً جديدةً في هذه الفواصل لتكون" اللغم الذي ينسف المحتوى الثقافي القديم ويُمهد لمحتوى جديد"[٩: ٩٥] بشكل جديد يمتزج فيه الهامش الأيمن مع المتن ليكون ذلك المزج علامة إرادة الشاعر في تذويب كل شيء في المخيّلة الحرّة الخلاّقة بلا حدود[٨: ٨٩]، باحثا عن الإشراق الذي يقرأ ضربة النرد[١٧: ٨/٣] وما ذلك الإشراق إلا إشارة إلى جمهور الشاعر الثوري المنتجين، الممهدين لنشوء الثورة الشاملة[٩: ٩٦]



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تلك الفواصل تفجر سيلا من القصائد المتسللة بتسلسل حروف الأبجدية والمحاطة بثلاث حواشٍ تتميّز الحاشية اليمنى بأنها تؤرخ للأحداث والوقائع مرّة، وتثير تساؤلات وأفكار تدور في ذهن الشاعر مرة أخرى تحت باب(الذاكرة) ومن تلك التساؤلات:

هل أحدٌ يُضيء
مصباحه،
هل أحدٌ يقرأُ
هذا الزمانْ؟
انكرتِ الأغصانُ
أشجارَها
أنكرتِ الأشجارُ
اغصانَها،
واختلط القدّيسُ
بالبهلوان[١٧: ٣/٢٣].

إن هذا التساؤل علامة ولادة الشاعر الذي يحاول الخروج من دائرة الذاكرة باحثا عن ذلك التموّج الخاص المختلف داخل بحر اللغة( ضوء إبداعه الخاص)، مُدركا أنّ " المقول أيا كان، ليس حديثا في ذاته. يأخذ حداثته من كيفيّة رؤيته، ومن طريقة التعبير عنه. وفي هذا ما يميّز الخلّاق الكبير عن سواه"[٨: ١٣٥] متنبئاً:

ربما،
في الزمان الذي يُقْبِلُ
لن يكونَ هناكَ سوى الشعر:
يَسألُ، أو يُسألُ[١٧: ٣/٢٣و١٨٨ ].
ليسَ للضوء
غير المستقبل[١٧: ٣/٥٢]

ويغيّر أدونيس محتوى الهوامش في هذا الجزء ليتكوّن كل هامش من عشر قصائد تحمل عناوين مختلفة تندرج تحت عناوين رئيسية هي(معراج، ديجور، رَصْد، فلك، غيوم، غور، غيب) كلها تصريح بمصطلحات الفكر الصوفي تدوّن(يوميات المتنبي) تشير إلى تجاوزها الوظيفة اللفظية إلى الوظيفة التأسيسية لمفهوم الإبداع الإشراقي الذي يعتمد على بناء رؤية إشراقية في نص قصيدة المتنبي التي تقول:

من وراء التلال أرى كيف تولد
في وجهي الأجنحة[١٧: ٣/٤٧].

وأخيرا يختم الكتاب بعنوانين، الأول (كتاب السواد) وتسميته تعود لأدونيس إذ يروي فيه مجموعة من الخواطر على لسان كافور ولا يجد حرجا من تصحيح الصورة التي جعلت من كافور مجرد حاكم جاهل تتحكم


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فيه عقدة العبودية واللون، ليجعل منه حاكما عميق السريرة وشغوفا بالحرية والإبداع[١٧:ج٣ ]. ليكون التصحيح هذا علامة حلم الثائر الذي يعكس تلك الرغبة الأدونيسية بحاكم مثله يردد:

ينبغي أن يُعادَ إلى العرش ما يمنح العرشَ مَعْناهُ:

لا ظِنَّةٌ لا رشاوى

[....]

لا يُقمعُ الذينَ ينادون بالعدل، أو ينقدونَ الأسيرَ وأعمالَه

واقواله

ولا يُعزلونَ

ولا يَحرَمونَ

ولا يُقتلونَ[١٧: ٣/٣٢٧-٣٢٨ ]

أمّا العنوان الثاني فهو( رماد المتنبي) والرماد يمثل" الإنسان الذي يموت ليهدم السدود، ليشرق وجه الحياة الجهمة، وينفتح في سور الأفق ثقب للأمل، ويحمل المعجزة التي تستطيع أن تغير في العالم شيئا وتُضفي على عبث الحياة معنى"[١٢: ٩٦ ]؛ ولذلك يصوغ أدونيس قصائد هذا العنوان بأشكال متعددة تنبض بالإبداع وتليق بشاعرٍ كبيرٍ مثل المتنبي مُعلنا تردده وقلقه في الولوج إلى دراسة إنتاجه الشعري من قوله:

أترَدَّدُ: ما الصورة التي سوف أختارُها

لأسافرَ فيه إليه؟

أتُراها

وردة الرفض يومَ افتتحتُ الطريقَ إلى شعره؟

أم تُراها

وجَعٌ يخرج الآنَ من غورِ تاريخه؟

قلقي أنني أترنّح فيما أقود التَّحولَ. ماذا؟[١٧: ٣/٣٤٣-٣٤٥] ...

وما سفر أدونيس القلق نحو المتنبي إلا بغاية مواكبته والتآلف معه وحرصه على أن يكون ندا له. بهذا السفر تمكّن أدونيس من تهيئة وجوده لكي يتسع لرؤية الوجودات الأخرى وينفتح عليها، إنه وجود في حالة دائمة من التحوّل فيه تكمن علامة أهمية العلاقة التي يقيمها القارئ مع النص عبر عودته إليه بمعزل عن التاريخ، تلك العودة المطلوبة بإلحاح من أجل تجديد الفن- لغة، وأفقا، وحركة[٨: ٦٩-٧٠]، وما اختياره للمتنبي إلا علامة على عظمة شعر المتنبي وعظمة الرؤيا التي تبناها.



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

**المبحث الثاني: المتتاليات الدلالية في الكتاب**

عبر دراسة العلامات الرئيسية لعناوين الكتاب بأجزائه الثلاث لاحظتُ تنوع المتتاليات الدلالية فيه بين (التاريخ، السلطة، الثورة، الدين، الفلسفة، الثقافة، الإبداع، وغيرها..) وبسبب التداخل الكبير بين هذه المتتاليات سأتناول أكثر المتتاليات شمولا وسعة متمثلة بمتتاليتي التاريخ و الإبداع.

**أولا/ المتتالية التاريخية في الكتاب :**

يثير أدونيس في الكتاب إشكالية الصراع الأزلي الأبدي حول كتابة التاريخ بين السلطة و المبدع الثائر؛ بسبب الطبيعة المتناقضة لكل منهما، فالثقافة السلطوية تريد تاريخا مؤدلجا مُغلقا على ذاته، مصدر الحقيقة فيه يعود إلى الله والحاكم بحيث تمارس كل أنواع الإرهاب الجسدي أو النفسي ضد من يحاول أن يُحركه نحو الحقيقة، والغاية من ذلك فرض إرادة القوة للحفاظ على شهوة الملك[٢٢: ٣١٢-٣٢٣ ] إنه:

تاريخُ رمالٍ
يتأرجحُ في عرشٍ دامٍ
في عبثٍ مُستأنَفْ[١٧: ٢/١٦ ]

ذلك العبث في الرمال المُستأنف يُظهر التماهي في الزمن، فالحاضر ليس إلا استمرار لإعادة إنتاج الايديولوجيات الماضية وتطبيعها بنفس الخضوع للسلطة الحاكمة إنه:

تاريخٌ: ثوبٌ مفتوقٌ،
هل يقدرُ شعرٌ
أنْ يرتقَهُ؟[١٧: ٣/١١٦]

من هذا التساؤل تبدأ صياغة الصراع في متتالية التاريخ التي تشهد ولادة شاعرٍ يحيا في( طقسٍ للقتلِ):

طقسٌ كانَ يُعاشُ كأنّ رياحَ
الجنّة تسري فيه، ومحابرَها
والأقلامُ
في هذا الطقسِ، رأى الشاعرْ
وجهَ الكونِ، وراح يُضيء مَداهُ
ويُلقّح باسم الإنسانِ الشعرَ
ويُلقّح ما تلِدُ الأيام[١٧: ١/٩].

بذلك يضيء طقس القتل المدى للشاعر لتَظهر حقيقة الفلسفة الإبداعية في ذلك التلقيح الممتد على صفحات الكتاب بأجزائه الثلاث، مارّا بمحطات التاريخ العربي منذ الجاهلية وحتى لحظة نهاية المتنبي في منتصف القرن الرابع الهجري، وما زامن هذه الفترة من أحداثٍ ترفعُ دولةً لتُسقِطَ أخرى.

إن هذه الفلسفة الإبداعية أشعلت روح الثورة داخل الشاعر ليحملَ راية التاريخ نحو التغيير نحو الحقيقة مُعلنا تمرده على السلطة:


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

سأقولُ لكم إنني خائنٌ– خائنٌ

لِمعاييركم وتعاليمكم[١٧: ٣/١٣٥].

إنها الثورة التي يحمل أدونيس رايتها في أعماله بمجملها وخاصة (الكتاب)[٢٢: ٣١١] ليكوّن بها جميعا متتالية الثورة الإبداعية ضد الثقافة السلطوية التي أدلجت التاريخ لقتل الإبداع والمبدعين لكنها مهما كانت أنيابها شرسة لن تنتصر، فالتاريخ يشهد أنه لن يسلّم راية العصر إلا لمن يسقي ضياءه من رحيق روحه، مستشهدا بكل من حمل راية الثورة قبله ومنهم المتنبي الذي أشعل بجثته ولادة عصر إبداع وثورة جديد لتكون خاتمة الكتاب في رماد المتنبي بقصيدة(الشاعر)[١٧: ٣/٣٧٣–٣٧٨] التي تبدأ بقول أدونيس: (ولد العصر في جثة) وتنتهي بقوله:

ألرَّمادُ_ ولكن

أشعرُ الآنَ أنِّي في حاجةٍ كي أغنّي

جسدي وَردَةٌ وفِكريَ عِطرٌ.

من هذه القصيدة يتضح لنا أنّ مدى متتالية التأريخ في الكتاب لن ينتهي بموت المتنبي، بل بدأ منه حاملا عطرَ أفكاره إلى أدونيس مُنتشِرا في كل العصور القادمة ليستدِلّ به الشعراء والمبدعين.

**ثانيا/ متتالية الإبداع:**

بعد أن أدركنا أن الفلسفة الإبداعية هي التي أشعلت روح الثورة في الشاعر، لابدّ أن نبحث الآن عن السبيل الصحيح لنجاحها عبر البحث عن أساليب الكتاب الإبداعية التي اعتمدها أدونيس، لذا لابدّ أن نتساءل: ما السرّ الذي أوصل الكتاب إلى هذا المستوى من الإبداع؟ وأن ندرك أن الإجابة عن هذا السؤال تمكننا من الإمساك بخيوط متتالية الإبداع فيه عبر البحث في آراء أدونيس النقدية. ونبدأ من إدراكه أن " اللغة التي يستخدمها لا تكون لغته إلا بقدر ما يفرغها من ماضيها، ويشحنها بالمستقبل"[٩: ١١٣] وان دور الشاعر فيها يتجاوز تنقيتها وغسلها من أدرانها إلى تنقية الفكر وقلب النظام المؤسس لها، وهذا يعني تفجيرها وشحنها ببعد جديد و قوة فعالة تبدو معها كأنها تُخلقُ للمرة الأولى[٩: ١١٣].

لن يكون تأكيد أدونيس على اللغة عبثا، إذ شهد التاريخ دهشة العرب باللغة القرآنية ومنها فُتِحَت الأبواب لدخول عالم النص القرآني عبر فهم لغته بوصفها باطنا، ومن هنا ينبع سبب تسميته للكتاب[١: ٢٢٦]"هكذا يكون الكتاب لغة تعيد باستمرار خلق اللغة. لا تعود مجرد علامات وأدوات. اللغة هنا، لحظةُ هي أبجدية، إنما هي في الوقت نفسه كونٌ وألوهة، أسرارٌ وغيوب. إنها الشيء وما وراءه. إنها اللامتناهي: الأصل والمعاد"[١٠: ٣٢].

ليس للضوء سوى المستقبل[١٧: ٣/٥٢]

من ذلك يتضح أن سبب بداية هذه المتتالية باللغة يعود إلى خصوصيتها التي تميّزها، فقصيدة النثر– مثلا– ظاهرة كونية يكتبها جميع الشعراء؛ لكن لغتها ليست لغة كونية واحدة ويجب أن تكون لها خصوصية تميزها، ولهذا يجب أن تكون في اللغة العربية، عربية الجوهر وإن كانت كونية في مظهرها[٨: ٣٥–٣٦] إن اللغة بهذه الخصوصية ما هي إلا:

ريشة الشمس



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تكتب في دفتر الضّوءِ:

" قولوا

للمحبّين، للرافضين، لأهل

التمرُّد، للخارجين وأصحابِهم،

إنهم فتنةُ اللغة العاليهْ

في حَناجر أيامِنا الآتيهْ"[١٧: ٣/٢٨٩].

ليست هذه اللغة العاليه إلا "لغة ضدية: ضد المؤسسة، ضد العادة، ضد البُنى كلها: الذهنية والبلاغية والإرثية والدينية. لغة بنوة لا أبوة، لغة آتٍ لا ماضٍ. كل كلمة فيها لغم، وكل قصيدة جبهة قتال"[٩: ١١٤]، إنها اللغة التي تسعى ثقافة السلطة– على مرّ العصور– إلى تغييبها، إنها اللغة التي لا تكتمل غاياتها إلا بوجود شاعر ثوري، حقيقي قادر على إغناء القارئ، وفتح آفاق جديدة لحسه وفكره عبر تحريضه على الحلُم، مُدركا أن:

فطرة الشعر في بحره

أن يكون مُريداً

لا لشطآنه– بل لأمواجه[١٧: ١/٢٠٠]

تلك الأمواج التي تجعل الشعر يتقلب في أشكال متنوعة متعددة، وليس الشكل المقصود هنا مجرّد وزن، وإنما هو نوع من البناء القابل للتجدد والتغيير؛ ولذلك هو بحاجة إلى مزيد من الحرية– من السر والنبوّة. فالشكل يمّحي أمام القصد أو الهدف[٩: ١٤]

هكذا تكمن عظمة الكتابة في" ذلك الكشف المعرفي الجديد والخلّاق، وفي جمالية العالم الذي بَنَته، وفي العلاقات المعرفية والجمالية التي أقامتها بين اللغة والعالم، وبين الإنسان والعالم" ل[٨: ١٣١]

إنّ متتالية الإبداع بهذا المفهوم لا تكتمل باللغة وتعدد الشكل، ولا يمكن أن تُوجد دون وجود شاعر ثوري يردد دائما:

آيتي أنني منهم– بشرٌ مثلهم

ولكنني استضيء بما يتخطى الضياء

آيتي أنهم يقرأون الحروف، وأقرأ ما في الخفاء[١٧: ١/٢٥١]

إن هذا الطموح نحو تخطي الضياء " يفرض على الشاعر أن يتفرد لا في الأشكال الشعرية وحدها، بل في التجربة وأبعادها، كذلك يفرض عليه أن يجرب حتى الطرف الأقصى إمكان تحوّله، مُتجاوزا العقبات التي تنهض في وجهه قاذفا خياله وشعوره خارج كل طريق مرسومة"[٩: ٤٧] إنه طموحٌ نحو استمرار مسيرة الإبداع وتطوّرها بوجود قارئ جديد للنصوص الإبداعية، وهنا يظهر لنا سبب آخر لتسمية (الكتاب) تشبّها بالنص القرآني، فكما ظهر مع النص القرآني قارئ جديد، ونقدٌ جديد، وذوقٌ جديد؛ فإنّ غاية أدونيس في (الكتاب) أن يبحث عن ذلك القارئ المُتفرّد في ذوقه وطريقة نقده التي تخترق الأنواع، من حيث الشكل، وتخترق المقاربات المعرفية التقليدية، من حيث المنهج. بذلك يفتح أفقا آخر للكتابة عبر هدم الفروقات بين الأنواع الأدبية، والتداخل



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

في مختلف أنواع المعرفة– فلسفة وأخلاقا، سياسة و تشريعا، اجتماعا واقتصادا، ومختلف الأنواع الأدبية– سردا وحوارا، قصصا وتاريخا، حكمة وأدبا إنه القارئ الذي يريد استيعاب النص، والإحاطة بمستوى العلاقة القائمة بين النص والآخر، إنه قارئ ذو ثقافة عالية [١٠: ٣٥– ٣٦] وصوت الشاعر بالنسبة لهذا القارئ ليس إلّا:

صوتٌ يخرج منه عطرٌ
وضعَ النيلُ عليه يدَهُ،
كي يبقى حرّاً:
صوتُ زمانٍ آتٍ.[١٧: ٣/ ٢١٤]

لقد أشعل أدونيس ليلَ الأبد بقصائد الكتاب مرددا:

من يقولُ: القصيدةُ ليلٌ
وعزلَةُ مُستوحدٍ في سَفَرْ؟
ألقصيدةُ أرضُ البَشَرْ. [١٧: ٣/ ٢٦٠]

مما تقدم يتضح أنّ متتالية الإبداع متكاملة بين كل أطراف العملية الإبداعية من اللغة والشكل، إلى المبدع الثائر والمتلقي القارئ، وهي المتتالية التي ركز عليها أدونيس في كتبه النقدية وأثبت إمكان تحققها في دواوينه ومنها (الكتاب).

وبذلك تتضح غاية أدونيس في محاولة إخراج المبدع العربي من دائرة الفوضى إلى دائرة المبدعين– على مرّ العصور– الذين يرسمون له الطريق المُوصِل للإبداع بوضوح، إنه بذلك يأخذ بيد المُبدع نحو الإبداع الحقيقيّ في أي زمان ومكان.

## الخاتمة:

يجد الدارس للكتاب بأجزائه الثلاثة من العنوان إلى الخاتمة فيه انعكاسا تطبيقا لآراء أدونيس النقدية المبثوثة في كتبه، وتمثل سلسلة من العلامات المتسلسلة بنظام مقصود بحيث يكمل بعضها الآخر ومنها:

1– عنوان (الكتاب) لغم يتفجر بعلامات شموله وسعة أفقه وتمجيده للمبدعين العرب، فضلا عن كونه علامة لإمكان الإتيان بمثله أو بأفضل منه عبر اعتراف الكاتب بموت المؤلف تحريرا لمعرفة القارئ وزيادة لثقته بقدراته الإبداعية.

2– إن كثرة ورود الروايات في الجزء الأول جعلت منه لغز يتيه القارئ في زيف رواياته لتكون التوقيعات في نهايته إظهارا للحقيقة التي توصلنا إلى حل اللغز في الجزء الثاني.

3– نقف في الجزء الثاني على لغة إبداعية مختلفة عن الجزء الأول فيها تجاهل كامل للراوي محاولا إخراج المثقف العربي من الانجذاب للقديم إلى فضاء التجديد المليء بالمفاجآت منها تغيير الشكل في الرواية واعتماد ضمير الغائب فيها علامة غياب الحياة في روايات التاريخ التي لا يجد سبيلا للخروج منها أفضل من تغيير


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الشكل، وتغييره في الذكرات مع اعتماد ضمير المتكلم (أنا) علامة الشاهد المتمرد الذي لا يملك سوى جمع تأملاته في دفتر الذكرى.

4- إن السيميائي لقيط النجوم (أبجد) هو من يحمل راية التمرد ليكون علامة لكل مبدع ثائر، وترمز هذه التسمية إلى اعتزاز أدونيس باللغة العربية ودعوة المبدعين العرب إلى الاعتزاز بها والبحث عن تفردها وخصائصها المميزة لها في ثراث مبدعيها.

5- يمثل الجزء الثالث بتفرده في التبويب والتفريع والمحتوى علامة ولادة لشاعر الذي يحاول الخروج من دائرة الذاكرة باحثا عن مايميز لغته الإبداعية عبر كيفية رؤيته، وطريقة تعبيره.

6- تمثل المصطلحات التي طغت على هوامش الجزء الثالث تصريحا بمصطلحات الفكر الصوفي والسوريالي وهي علامة تجاوز الوظيفة اللفظية إلى الوظيفة التأسيسية لمفهوم الإبداع الإشراقي الذي يعتمد على رؤية إشراقية في نص قصيدة المتنبي.

7- في خاتمة الكتاب (كتاب السواد) يرسم أدونيس صورة الحاكم العادل الشغوف بالحرية عبر ما كتبه على لسان كافور؛ ليكون علامة حلم الثائر الذي يعكس تلك الرغبة بحاكم مثله.

أما في (رماد المتنبي) علامة ابتداء زمن الكتاب من رماد شاعر عظيم ليكون نورا للمبدعين بعده.

8- إن متتاليتي التاريخ والإبداع من أكثر متتاليات الكتاب شمولا، إذ يثير في الأولى الصراع بين ثقافة السلطة والمبدع على كتابة التاريخ، ليمتد مداها مع المبدعين الذين يطلقون بموتهم ولادة عصر إبداع جديد. وفي الثانية وهي التي أكد عليها أدونيس في كتبه النقدية مركزا على اللغة وتنوع الشكل الإبداعي وحريته من جهة، وعلى الشاعر المبدع وقدرته على الهام القارئ بالإبداع. تلك المتتالية المتكاملة هي التي منحت الكتاب السرّ الذي أوصله إلى هذا المستوى من الإبداع.

إنّ دراستي لكتاب أدونيس وضعتني أمام سيلِ علاماتٍ جارٍ لا يتوقف، وما نتائج هذا البحث إلا قراءة متواضعة لسيمياء العلامة في هذا العمل الإبداعي الكبير علّني أكون من القرّاء الذين يبحث عنهم أدونيس.

**CONFLICT OF INTERESTS**

**There are no conflicts of interest**

**المصادر:**

[١] إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، الدار العربية للعلوم،ط١، ٢٠٠٨م.

[٢] نص القارئ المختلف(٢) وسيميائية الخطاب النقدي، د. نبيل أيوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠١١م.

[٣] جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

[٤] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤م.

[٥] س/ز رولان بارت، ترجمة: محمد بن الرافة البكري، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط١، ٢٠١٦م.

[٦] الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، أ.د. بشير تاويرت، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.



Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٧] المناهج النقدية الحديثة–أسئلة ومقاربات، د. صالح هويدي، دار نينوى للدراسات، ط١، ٢٠١٥م.
[٨] موسيقى الحوت الأزرق، أدونيس( الهوية، الكتابة، العنف)، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.
[٩] زمن الشعر، أدونيس، أدونيس، دار الفكر، ط٥، ١٩٨٦م.
[١٠] النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
[١١] إشكالية الخطاب العربي في (الكتاب) لأدونيس، وداد هاتف، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.
[١٢] أدونيس في البعث والرماد، خزامي صبري، مجلة شعر، ع ٥، ١٩٥٨م.
[١٣] الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، أدونيس،٣– صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.
[١٤]الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، سفيان زدادقة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.
[١٥] الصوفية والسوريالية، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط٣.
[١٦] أمس المكان الآن (زواج الشعر والفلك والتاريخ والمسرح)، شوقي بزيع، معابر.
[١٧] الكتاب (أمس المكان الآن) مخطوطة تنسب إلى المتنبي، يُحققها وينشرها أدونيس، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
[١٨] قراءة نقدية .. الشعر وملكوت الكلمات" رؤية نقدية إلى الكتاب٢ لأدونيس، محمد علي شمس الدين، مجلة العربي، عدد ٤٧٧.
[١٩] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
[٢٠] خطاب الحكاية– بحث في المنهج، جيرار جينيت، تر: محمد معتصم وعمر حلّي وعبد الجليل الأزدي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧م.
[٢١] جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.
[٢٢] الشعر والوجود( دراسة فلسفية في شعر أدونيس)، عادل ظاهر، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.


Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq